سقط الشعار
الكاتب : إياد أبا زيد
التاريخ : 24 يوليو 2012 م
المشاهدات : 7750

كل صباح تردد المُدرسة الشعار "أهدافنا" ليردد الصغار "وحدة وحرية واشتراكية"، لكن ذلك الصباح وبعد أن قالت "أهدافنا" كان الرد "وحدة واشتراكية" وتساءلت المُدرسة: أين سقطت الحرية؟ لتجيب جمانة "بالأمس بابا قال حرية فأخذه العسكر".

جمانة فتاة السادسة، تتكلم كثيراً واعتادت على ترتيب مكتبها الصغير ذي الألوان الزاهية، اعتادت ان تلعب بألعابها، فتل...ك العروس الممشطة، وهذه العربة الملونة، تلعب بهم وتعيدهم إلى حيث كانوا كما علمتها أمها.
جمانة تفاجأت أن ما تعلمته من غسيل يديها قبل الطعام والجلوس إلى الطاولة وممارسة العادات اليومية بكل قدسية تم رميه على الأرض، تذمرت من انقطاع الكهرباء عن منزلهم لفترة طويلة، وهي التي اعتادت أن ترى والدها مصمم البرامج والمواقع يعمل منذ الصباح حتى المساء قربها.
أصبحت لياليهم متشابهة بعتمتها، وصوت الرصاص هو الموسيقى الوحيدة في الحي الذي يقطنونه في درعا . وهناك العسكري الذي يحمل سلاحه و يفتش الداخلين والخارجين من الحي، جمانة سألت "بابا هل اسرائيل دخلت أرضنا" يسكتها والدها بإشارة فهمت أن الحديث يجب أن يكون فيما بعد.
سنوات عمرها الست لم تشفع لها أن تسأل وتسأل، والأجوبة كلها مبهمة، لتأتي بالنهاية وتقول "عصابات بشار الأسد هي التي تقوم بذلك". والداها ارتعبا! فالحديث و لمجرد الحديث أصبح فيه الكثير من الخطر على حياة الناس في هذا الموضوع.
فالقدسية التي عاشوا بها لأكثر من أربعين عام، لتصبح سورية باسم "سورية الأسد" ليست بالأمر السهل ليستوعب الناس أن هناك من يقول أن بشار الأسد رئيس عصابة، والتمثال والصورة "رمز العائلة" يجب أن يتهدما، ومن جَرُؤ في إحدى المرات على ذلك لم يعرف عنه شيء حتى الآن، إن كان الموت من نصيبه أم مازال قيد الحياة فلا أحد يعرف.
لم تعد تسأل جمانة التي أصبح عمرها بعد أربعين يوم من التظاهرات، ستة و أربعين سنة، فما تعلمته في سنواتها الستة تم محيه لتحل محله ثقافة الرصاص التي تسمعها كل يوم، والانقطاع الدائم للكهرباء كل يوم، ولم يعد يعنيها أن تغسل أيديها في الصباح أو المساء أو قبل الطعام او بعده لأن الماء أصبحت شيئاً نادراً في حيهم، وأصبح من يملكه كأنما ملك الأرض ومن عليها.
طعامهم أصبح عند الجوع فقط، والمدرسة التي تذهب إليها كل يوم، باتت مغلقة بسبب الإصلاحات كما قالت المديرة، والجدة والجد صار زيارتهم نادرة، فإن دخلوا الحي لم يستطيعوا الخروج و إن خرجوا منها لن يدخلوا قبل عدد من الأيام.
رأت رجال يدخلون ويمسكون والدها فذلك التاريخ حفرته الذاكرة ولن تنساه كعيد ميلادها، في تلك الأيام حيث أصبحت

الشوارع خالية من رجالها، والنساء تصرخ لا تعودوا قبل ان يسقط النظام أو تموتوا دون ذلك، وبالفعل من خرج منهم لم يعد حتى تاريخ الكتابة.

رأتهم يضربون أباها ويجرونه ويمزقون ويكسرون كل ما يرونه، لم يشفعوا للطفلة الصغيرة رؤيتهم بهذه الهيئة، وكل ما رأته أن والدها قال بالأمس "حرية"، لم تفهم الحرية، فالطعام الذي تأكله لا يحوي هذه الكلمة، والأشخاص الذين تعرفهم لا يحملون هذا الاسم، إذا هي كلمة يجب أن لا ينطق بها أحد، فقد تكون كفر، وقد تكون شتيمة، وعيب على الصغار أو الكبار أن يشتموا أحد.

لذا غيرت الشعار و أخبرت أصدقائها أن الشعار بعد الآن هو "وحدة و اشراكية"، لأنهم يأخذون كل من يتلفظ بالحرية.

جمانة نسيت الإنترنت الذي يعمل والدها عليه، وفي أحد الأماسي تسأل والدتها "لماذا لا نسمع صوت الرصاص؟ هل ماتت عصابة بشار؟".

والدتها ضحكت وقالت "الموت أصبح رحمة في حكم بشار".

المصادر: